

ورقة قراءة أولى

مدخل إلى الحديث والسنة ومكانتهما

شروح وأمثلة من مقالات البداية، مع أسئلة وإجابات للقراءة الفردية أو التعليم.

لمن؟

للقارئ الجديد، والمسلم الجديد، ومن يقدم مدخلا قصيرا في بيت أو حلقة أو لقاء تعريف.

طريقة الاستعمال

الشرح أولا، ثم سؤال المراجعة. الإجابة في آخر الورقة والمراجع مع الفقرات.

01 الحديث خبر عما نسب إلى النبي ﷺ

الحديث النبوي، في التعريف الشائع عند المحدثين، هو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. ومعنى «أضيف» أنه نسب إليه: فقد ينقل الراوي كلاما سمعه منه، أو عملا شاهده، أو موقفا أقره، أو وصفا لهيئته وأخلاقه. ويورد البخاري هذه الأنواع في أول كتابه «فتح المغيب».

يجمع هذا التعريف صورا مختلفة من المعرفة بشخص النبي ﷺ وهدية. فالراوي الذي يصف صلاته ينقل حديثا، وإن لم تكن الرواية كلها كلاما قاله النبي. والذي يصف رحمته ينقل جانبا من شمائله. ويساعد هذا الاتساع على فهم تنوع أبواب كتب الحديث؛ ففيها العبادة والمعاملة والأدب والسيرة وصفات النبي، وكل باب يكشف جانبا من حياته وتعليمه.

وتتعلق كلمة «حديث» هنا بنوع الخبر المنقول. أما ثبوت نسبته فله بحث آخر؛ ولهذا نجد في علم الحديث أوصاف الصحيح والحسن والضعيف. التعريف يبين ما الذي تدرسه هذه العلوم، ثم يأتي النقد ليفحص الروايات الداخلة فيه.

السخاوي — فتح المغيب بشرح ألفية الحديث

يشمل التعريف القول والفعل والتقرير والصفة، وهو أصل التقسيم الذي توضحه الأمثلة التالية.

المقدمة، تعريف الحديث؛ الصفحتان 14 و15 بحسب الترقيم الظاهر في النسخة المعروضة.

المرجع الأصلي: scribetoools.com

02 القول والفعل: تعليم بالكلام والمشاهدة

من الحديث القولي قول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات». رواه عمر بن الخطاب، وافتتح به البخاري صحيحه. هنا ينقل الصحابي عبارة نبوية، وينتج فهمها إلى معنى الكلمات والعلاقة التي تقيمها بين العمل وقصد صاحبه؛ فقد تتشابه صورتان من العمل ويختلف ما يقصده صاحبهما.

ومن التعليم بالفعل ما رواه مالك بن الحويرث: أقام مع جماعة من الشباب عند النبي ﷺ عشرين يوما وليلة، ثم وجههم إلى العودة إلى أهلهم وتعليمهم، وقال: «وصلوا كما رأيتموني أصلي». شاهدوا الصلاة ثم حملوا خبرها وتعليمها إلى غيرهم. فالقول في هذا الحديث يربط التعلم بالمشاهدة، والروايات التي تصف الصلاة تنقل الفعل المشاهد.

قد يجتمع القول والفعل في رواية واحدة، كما اجتماعا هنا. وتقسيم الحديث إلى أنواع يوضح جهة النقل، ولا يفرض أن تكون كل رواية محصورة في نوع واحد. فالمشهد التعليمي يجمع كلام المعلم، وعمله، وفهم من حضر عنده.

حديث النيات — صحيح البخاري

إنما الأعمال بالنيات

مثال لقول نبوي نقله الصحابي وسمى سماعه من الرسول ﷺ.

كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، حديث 1.

المرجع الأصلي: sunnah.com

تعليم الصلاة بالمشاهدة — صحيح البخاري

وصلوا كما رأيتموني أصلي

يرتبط الأمر القولي بالفعل الذي شاهده المتعلمون، ثم بتعليم أهليهم.

كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، حديث 631.

المرجع الأصلي: sunnah.com

03 ماذا تعني حجية السنة؟

الحجة هي الدليل الذي يعتمد عليه في معرفة الدين. وحجية السنة تعني أن ما ثبت عن رسول الله ﷺ من التشريع والبيان مصدر نعرف به ما أمر الله به وما نهى عنه، وكيف نعبده ونحسن التعامل مع خلقه. ليست السنة إضافة للزينة حول القرآن؛ إنها هدي الرسول الذي أمرنا القرآن باتباعه.

يبدأ هذا المعنى من الشهادة بأن محمدا رسول الله: نصدقه فيما بلغ، ونتبع ما جاء به عن ربه. ومن ثم لا تكون العلاقة بالنبي إعجابا بأخلاق شخصية تاريخية فحسب؛ بل إيمانا برسالته وتلقيا لهديته.

ولفظ السنة هنا غير استعماله في بعض كتب الفقه بمعنى المستحب. فعندما يقال إن صلاة معينة سنة، فالمقصود حكم ذلك الفعل. وعندما يقال إن السنة حجة، فالمقصود مرجعيتها في الدين، وتشمل ما يدل على واجب أو مستحب أو مباح أو محرم بحسب الدليل.

طاعة الرسول من طاعة الله

من أطاعني فقد أطاع الله

يؤكد الحديث أن طاعة النبي ﷺ متصلة بطاعة الله الذي أرسله.

صحيح البخاري، كتاب الأحكام، حديث 7137

المرجع الأصلي: sunnah.com

04 القرآن يأمر باتباع الرسول

لم يقتصر القرآن على الأمر بتلقي ألفاظه؛ بل أمر بطاعة الرسول، وجعل الرجوع إليه سبيلا لفصل التنازع، وبين أن من مهمته شرح ما أنزل للناس. هذه المعاني متكاملة: الرسالة بلاغ للنص، وتعليم لمعناه، وبيان للعمل به.

لذلك لا يستقيم أن نحتج بالقرآن لإبعاد السنة كلها؛ فالكتاب الذي نحتج به هو الذي يأمر باتباع الرسول. ولا يعني ذلك مساواة الحديث بالقرآن في جميع الخصائص: القرآن كلام الله المتعبد بتلاوته، وله خصائصه، والسنة الثابتة تبينه وتدلل على هديه.

تظهر الدلالة حين نجمع الأمر بالطاعة مع مهمة البيان؛ فلا يبقى الرسول مجرد ناقل كتاب يسلم الناس نصه ثم تنتهي صلتهم بتعليمه.

القرآن الكريم — طاعة الرسول ﷺ

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

الأمر بطاعة الرسول دليل على أن اتباعه من الدين، وليس اختيارا منفصلا عن طاعة الله.

سورة النساء، الآية 59؛ تفسير ابن كثير، فقرة الرد إلى الله والرسول

المرجع الأصلي: quran.ksu.edu.sa

القرآن الكريم — بيان الرسول ﷺ

لتبين للناس ما نزل إليهم

جعل الله بيان ما أنزله من مهمة الرسول ﷺ؛ فمعرفة القرآن تشمل معرفة بيانه النبوي.

سورة النحل، الآية 44؛ تفسير ابن كثير

المرجع الأصلي: quran.ksu.edu.sa

05 سؤال وإجابة

كيف يجمع حديث «صلوا كما رأيتموني أصلي» بين القول والفعل في تعليم الصلاة؟

تعلم الصحابة الصلاة بمشاهدة فعل النبي ﷺ، ثم سمعوا أمره بالافتداء به وتعليم أهلهم. فالقول يوجه إلى الفعل المشاهد ويصل بين التعلم والعمل.

وسع من هنا

المقالات والمراجع

ما الحديث والسنة؟

المقال الكامل وأدلته.

المقال في لماذا الحديث؟

مكانة السنة وحجيتها

المقال الكامل وأدلته.

المقال في لماذا الحديث؟